قلنا ان هذه هي الاثرة بعينها فان هذه من المنافع الخاصّة بفريق دون آخر بل هي من تضحية قومٍ لقوم على ان شرائع العدل الطبيعي لا تجيز ان يُبلَغ الى الثروة على اجسام الرجال ولا ان تشرى البلاد بالنفوس الغوال

ألا ما لزعمآء الاصلاح واهل النور ودعاة التمدن وارباب الاحكام وواضعي الشرائع قد صمَّت آذانهم وصمتت افواههم وسدل ذكر الفوز ستارًا على ابصارهم فهم لا ينظرون وقد كانوا من قبل ينادون بسموّ فطرة الانسان وعلو شأنهِ في الوجود وصيانة حقوقهِ وحفظ كرامتهِ واجتناب مضرّتهِ فما بالهم لا يبالون بالالوف منهُ تسقط تحت حدود السيوف وتتناثر اشلآؤها في مجازر الوغى وتُهدَم ديارها وتُغنَم اموالها ويُغصَب عقارها وتذهب نسآؤها وعيالها فريسة الجوع والشقآء وسائر انواع البلآء

افي العدل ان يرفع احدهم يدهُ الى السمآء متهدّداً باسم الشرع كل فردٍ من الامة يعتدي على اخيهِ او يغصب حقًّا من حقوقهِ ثم يسلمهُ باليد الاخرى سيفاً ويأمرهُ ان يذهب ويقاتلهُ حتى اذا عاد ظافرًا نال على ذلك اسنى المكافأة وعُدّ من عظمآء الرجال

اوَليس من الغريب انهم يجتهدون في اختراع اشدّ الآلات فتكاً واعظمها ابادةً وتدميرًا فيرسلونها الى ميادين الحرب ثم يُصحبونها باعضآء جمعيات الرحمة لمداواة المرضى واساوة المجروحين . فكيف يكون بعد تلك القسوة شفقة ام هل يجتمع الظلم والرحمة والعنف واللين . لا جرم ان تلك فصول تمثيلٍ مضحك يموّه بها على عيون الناظرين فيشتغلون بلهوها عن ان يسبروا غورها وما زال الانسان وحشيّ الطبع وان تنكر تحت ثوب

الانس والرقة تمويهاً وزورًا وتستر بما يسميهِ تمدناً وهو عن التمدن بمراحل

ويسألون متى يتاح للمجتمع الانساني ان يتمتع بنعيم السلام وهنآءة الالفة والوئام فيُطرَح السلاح وتلغى الحروب وتنقضي الغارات وتبطل الفظائع وتنصرف الامم الى اصلاح شؤونها والتوفر على اسباب سعادتها ونعيمها وهل يدخل الانسان ذلك الطور في احد عصورهِ ام تبقى تلك الامنية في رؤوس بعض عظمآء الرجال لا تخرج عن حيز التمثّل والخيال . وهيهات ان ذلك لما يستحيل بلوغهُ على الانسان وهو على ما عُرف بهِ من الطمع والأثرة التي غرستها فيهِ يد الفطرة فليس ينزع عنهُ الا بتوالي العصور وتمام انتشار العلم والمعارف حين تتطهّر الاهوآء وتعلو النفوس فلا يساق افراد الامة الى طريق الخير كرهاً وهم جاهلون المصير بل يسعون اليهِ عن رغبةٍ واقتناع . وان قيل ان امتداد التمدن لا يكفل بلوغ تلك الغاية لانهُ يشاهَد بامتدادهِ امتداد الشرور وبانتشارهِ انتشار فظائع جديدة لم تكن معروفةً من قبل فهو غير قادر ان يستأصل من الفطرة الانسانية ما لازمها من الخواص الحيوانية قلنا ربما لا يصعب على الطبيعة التي تخفض الجبال وترفع السهول وتغير وجه البسيطة في كل زمان ان تغير شيئاً من فطرة الانسان

موسى صيدح

عدد السبعة

لحضرة الفاضل ميخائيل افندي اسطنبولية في دمشق

(تتمة ما في الجزء السابق)

وقد بقي في كلامهم عدة آثار تدل على اعتقادهم الفضل والقوة في السبعة

فمنها قولهم للمقتدر أخذهُ اخذ سبعة وعذبهُ عذاب سبعة وسبّعَ الله لك اي اعطاك الله اجرك سبع مراتٍ او سبعة اضعاف

وبعد الجاهلية انزال القرآن على سبعة احرف اي سبع لغات من لغات العرب وكون الفاتحة سبع آيات وهي المدعوة احياناً بالسبع المثاني وقول المستشهد لا اله الا الله سبع كلمات وان السماوات سبع والارضين سبع وابواب جهنم سبع والطواف بالكعبة سبع مرات والحصى التي يرمى بها في الحج سبع وهي المدعوة بالجمرات وان سحرة فرعون كانوا من سبع مدائن.

ومن بعض الآيات التي جآء فيها ذكر السبعة قولهُ في سورة التوبة « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » وفي سورة الاعراف « اختار موسى قومهُ سبعين رجلاً » وفي سورة البقرة « مثل الذين اموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ انبتت سبع سنابل » وآياتٌ كثيرة غير هذه طابق فيها ذكر السبعة لما ذكر عنها في التوراة فلا حاجة الى تعدادها

وفي الحديث قولهُ « المؤمن يأكل في معىً واحدٍ والكافر في سبعة امعآء » وقولهُ « اذا ولغ الكلب في انآء احدكم فليغسلهُ سبع مراتٍ احداهنَّ بالتراب » و « اذا همّ احدكم بامرٍ فليستخر ربهُ فيهِ سبع مرات » وغير ذلك

وقد رأيت في مكتبة الملك الظاهر في دمشق في جملة كتب لرجل من الصالحية يدعى يوسف بن عبد الهادي اسم رسالةٍ يدلّ عنوانها على انهُ قد استقصى فيها جميع الاقوال والافعال النبوية المذكور فيها عدد السبعة والعنوان هو « السباعيات الواردة عن سيد السادات »

ولا بأس ان اذكر هنا بعض آثار السبعة في تاريخ الدروز كان الحاكم

بامرهِ وهو سابع خلفآء مصر من الفاطميين يقول ابي علي وامي فاطمة بنت النبي يقول ذلك على المنبر كل سبعة ايام ولبس الصوف سبع سنين ومنع النسآء من الخروج الى الطرقات ليلاً ونهارًا قال ابن خلكان كانت مدة منعهنّ سبع سنين وسبعة اشهر

وفيما خلا الدينيات كون بنات نعش في السمآء سبعة كواكب واجتماع سبعة انجم في الثريا قال الشاعر

خليليَّ اني للثريا لحاسدُ ... واني على ريب الزمان لواجدُ
ايُجمع منها شملها وهي سبعةٌ ... وافقدَ من احببتهُ وهو واحدُ

واعتقادات القدمآء ان السيارات سبع والمعادن سبعة والبحار سبعة والاقاليم سبعة وكون طبقات الموسيقى سبعاً واجتماع سبعة الوان في قوس قزح وغير ذلك مما اضرب عنهُ صفحاً

ولم تخلُ المنظومات ايضاً من آثار هذا العدد فقد عددوا للشتآء سبع كافات جمعها ابن سكرة في قولهِ

جآء الشتآء وعندي من حوائجهِ ... سبعٌ اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كيسٌ وكنٌّ وكانونٌ وكأس طلاً ... بعد الكباب وكفٌّ ناعمٌ وكِسا

وعدد بعضهم في مقابلتها سبع ميمات للخريف فقال

جآء الخريف وعندي من حوائجهِ ... سبعٌ بهنَّ قوام السمع والبصرِ
موزٌ ومزٌّ ومحبوبٌ ومائدةٌ ... ومُسمعٌ ومدامٌ طيبٌ ومرى

وقال المتنبي مفتخرًا بسبعة

الخيل والليل والبيدآء تعرفني ... والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

وعارضهُ ابو الحسين الجزار بسبعة فقال

اللحم والعظم والسكين تعرفني والقطع والخلع والساطور والوضمُ

وقد بقي غير هذا الذي اوردتهُ امثلة متعددة في التنجيم والسحر وسائر العلوم والفنون وانما ذكرت قطرةً من بحر ولو اردت ان استقصي للزمني مجلد كامل . ومن هذا القليل الذي سردتهُ يُستدَلّ على شرف هذا العدد وعِظَم اهميتهِ في الاديان كافةً وعند الشعوب قاطبةً وقد انفرد بالشهرة دون غيرهِ من الاعداد وكان لهُ من الآثار في تواريخ الامم ما ليس لسواهُ وقد جاءت اقوال مختلفة في اسباب هذه الخاصية التي لهُ فقال بعض الشرقيين السبعة عدد كامل لجمعهِ العدد كلهُ اذ العدد اما ازواج او افراد فالازواج الاثنان والاربعة والافراد الثلثة والخمسة واما الواحد فليس بعدد على المشهور فاذا جمعت الزوج الاول وهو الاثنان مع الفرد الثاني وهو الخمسة او الزوج الثاني وهو الاربعة مع الفرد الاول وهو الثلاثة كان مجموع كلٍّ منهما سبعة وهذا التفسير على ما فيهِ من الذكاء لا يكشف سرًّا ولا يبين مغزًى لان الشعوب قديماً من سكان المدن والقفار حين اقبلوا على تعداد السبعة في معتقداتهم وعوائدهم واحتفالاتهم لم يكونوا يعلمون هذه الخاصية المستنبطة . وقال آخرون ان السبعة انما شاعت هذا الشيوع وعمت سائر الاحوال الدينية والمدنية لما كان عليهِ الناس قديماً من عبادة الكواكب السيارة السبعة فاعتبروا لذلك هذا العدد مقدساً وجعلوهُ اساساً لكل تقسيم لهم ولذلك وُجدت آثارهُ على اكثر الابنية الدينية القديمة عندهم كما مرّ بنا سالفاً . وجعل بعضهم الرمز في ذلك كلهِ الى ايام الاسبوع وكلا

القولين وان صح بعضهُ في زمنٍ فلا يصح في زمنٍ آخر لان تقسيم الايام الى اسابيع لم يكن من وضع الناس وكثيرًا من معدودات السبعة وُجدت في حين لم يكن للفلك والكواكب تعدادٌ او علمٌ يُعرَف والارجح ان هذه المزية التي آثر بها الناس عدد السبعة على ما سواهُ من الاعداد مسببة عن اعتقاد كونهِ مقدساً ولذلك قال فرجيل الشاعر اللاتيني من شطر بيتٍ ما تعريبهُ ان الآلهة تحب العدد الفرد

ومن قرأ اسفار الوحي خاصةً ورأى كم ذُكر هذا العدد في كلام الله عزّ وجلّ ووصاياهُ مما نقلت بعضهُ في ما سبق حكم ان تفضيل السبعة على ما سواها وشيوعها هذا الشيوع في المعتقدات والعادات والمصطلحات ليس من باب العبث او الاتفاق وانما هو ناشئ عن سببٍ اوجبهُ ولعلهُ كان نظرًا لخلق الله العالم في سبعة ايام واستراحتهِ في السابع منها قال في سفر التكوين وبارك الله اليوم السابع وقدّسهُ لانهُ فيهِ استراح من جميع اعمالهِ فلما بورِك اليوم اعتُبر العدد نفسهُ مباركاً وشاع ذلك الشيوع الذي نقلت من بعض آثارهِ قليلاً من كثير . ولست اريد بهذا ان عدد السبعة نفسهُ قُصد بالبركة ولكن لحقتهُ البركة من طريق الظرفية اي بما انهُ كان ظرفاً وزماناً لليوم الذي فيهِ استراح الله لا انهُ مقصود بذاتهِ بحيث لو كانت قد حصلت هذه الاستراحة في اليوم الخامس مثلاً او غيرهِ لاعتبر الناس ذلك العدد مباركاً وادخلوهُ في كل معدود لهم والله اعلم بالصواب